

هل صُلبَ المسيح ؟

نظرات تاريخية
حول وفاة المسيح في
تفاسير أهل السنة

إعداد

يوسف كامنغ

جامعة ييل

joseph.cumming@yale.edu

ترجمة

مصطفى أمين خطاب

جامعة الأزهر

كلية اللغات و الترجمة

mustafablue7@hotmail.com

القاهرة

مارس 2002 م

محرم 1423 هـ

كلمة المترجم

هذا بحثٌ شاملٌ ينم عن إمامٍ كاملٍ
بتفاسير أهل السنة و إجادة تامة للعديد من اللغات
و هذا جديرٌ بأن ينال إعجاب القراء المدققين المحللين
على الرغم من أن هذا يمثل عبئاً كبيراً على كاهل
المترجمين !

Translator's Note

A comprehensive paper reflecting
a thorough knowledge of *Sunni Tafsir*
literature and a striking command of several
languages, which is quite intriguing to
analytical readers, though
very exhausting to
translators!

*For My Friends,
Taba, Osama and Helaly,
without whose help this translation
would have been finished
much sooner*

بسم الله الرحمن الرحيم

هل مات السيد المسيح على الصليب ثم قام من الأموات ؟ إن هذا السؤال يبلغ درجة كبيرة من القوة بحيث تكفي لإثارة مناقشات ساخنة بين المسلمين و المسيحيين. يقول أحد الكتاب المعاصرين : " إن هذا الموضوع يثير جدلية الإسلام كما لم يثيرها أي موضوع آخر"¹ .

و من المؤكد أنه عندما يتحاور المسلمون و المسيحيون معاً حول موضوعات دينية فإن هذا الحوار غالباً ما يتطرق إلى هذا السؤال إن عاجلاً أو آجلاً . ربما لا يبدو هذا مفاجئاً في ضوء التاريخ الذي أدى فيه استغلال الحملات الصليبية الصليب كرمز ديني إلى تحويله من مجرد علامة تدعو المسيحيين إلى بذل أرواحهم من أجل الآخرين بدافع من المحبة الخالصة² إلى علامة تدل على استعداد المسيحيين لقتل غيرهم في سبيل تحقيق أهدافهم الأتانية .

إن مناقشة قضية صلب السيد المسيح عليه السلام تؤدي عموماً إلى إحدى نتيجتين لا ثالث لهما :

1- إما أن يبذل كلا الجانبين جهده ليقنع الآخر بأنه على صواب و أن الجانب الآخر على خطأ ،

2- أو أن يقرر الجانبان بمنتهى الأدب و الكياسة أن " يتفقا على أن لا يتفقا" !

و نفترض من كلتا النتيجتين أنه لا توجد أسس مشتركة بين الجانبين للإجابة على هذا السؤال . إن الهدف من البحث الذي بين أيدينا الآن هو معرفة مدى صحة أو خطأ هذا الافتراض . و يهدف هذا البحث على وجه الخصوص إلى محاولة ودية لدراسة التعاليم الإسلامية لمعرفة الأجوبة الممكنة تاريخياً على هذا السؤال في المجتمع الإسلامي ، و سيبلي إلى هذا هو دراسة الآيات القرآنية التي تشكل أساس هذه المناقشة ، و كذلك دراسة تاريخ تفاسير أهل السنة السائدة لهذه الآيات ، و إذا ما كان هناك ثمة مشروع بحث مستقل (ربما يقوم به عالم مسلم) يهدف إلى دراسة التعاليم و المعتقدات المسيحية بنفس الأسلوب الودي الذي اتبعناه هنا ، فإننا نستطيع بعد ذلك معرفة الأسس المشتركة التي ربما تنتج من هاتين الدراستين .

و أغلب ظني أن أكثر الآراء ذيوياً و أوسعها انتشاراً في العالم الإسلامي اليوم حول مسألة الصلب هو أن الله تبارك و تعالى ألقى شبه المسيح عليه السلام على شخص آخر ، و أن هذا الشخص قد تم صلبه بدل المسيح ، بينما رفع الله المسيح حياً إلى السماء مباشرة .

و هناك رأي آخر ذهب إليه الكثيرون - إلا أنه أقل ذيوياً و انتشاراً من الرأي الأول - و هو أنه قد تم صلب السيد المسيح نفسه و تثبيته بمسامير على الصليب حيث فقد الوعي ، ثم ما لبث أن استرد وعيه و هو في القبر . هذا الرأي - الذي روجته كتابات العلامة أحمد ديدات الجدلية - يحظى بقبول واسع و لا سيما في جنوب آسيا في يومنا هذا .

1 إسكندر جديد : (الصليب في الإنجيل و القرآن) ص 5 (بيروت - مركز الشبيبة)

2 انظر رسالة يوحنا الأولى 3 : 16 أو الرسالة إلى مؤمني فيلبي 2 : 4-8 على سبيل المثال .

يقول كينيث كراج Kenneth Cragg معلقاً : " تتمسك كل من الطائفة الأحمدية و الطائفة القاديانية بجنوب آسيا بالرأي القائل بأن عيسى عليه السلام قد تم تثبيته بمسامير على الصليب ثم تم إنزاله و هو مازال حياً ثم وضع في مقبرة باردة ، و على ذلك لم تنجح محاولة صلبه ، و من ثم استرد المسيح وعيه داخل المقبرة ثم فر منها و سافر بعد ذلك صوب الشرق إلى أن مات هناك في سنٍ كبيرة بكشمير (بالقرب من سريناجار) حيث مازال قبره قائماً حتى اليوم " .³

و يحظى هذان الرأيان القائلان بنظرية البديل و فقدان الوعي – مثل بعض الآراء الأخرى – بتأييد تاريخي و لا سيما من جانب التفسير الإسلامي للقرآن الكريم .
و لقد تركزت التأمّلات الإسلامية من الناحية التاريخية حول تفسير بعض الآيات القرآنية التي تتناول مسألة صلب المسيح .

و على الرغم من وجود ملاحظات و تعليقات على هذا الموضوع في بعض المصنّفات الأخرى بين الحين و الآخر مثل (رسائل إخوان الصفا)⁴ ، إلا أن أكثر المناقشات الإسلامية تأثراً و عمقاً في هذا الموضوع تقع بين طيات التفسير القرآنية.

أما بالنسبة للدراسة الموسوعية التحليلية لكل التعليقات و الشروح الإسلامية للموضوع ، فإنها لا تقع داخل نطاق هذا البحث الذي نحن بصده .

و سنركز فيما يلي على أكثر تفاسير أهل السنة ذيوماً و خاصة تفسير الطبري ، فخر الدين الرازي ، القرطبي ، البيضاوي و سيد قطب .

و تتناول هذه التفسير مسألة وفاة المسيح من خلال تحليل و تفصيل أربع آيات قرآنية ، و هذه الآيات هي :

1- الآية (55) من سورة آل عمران : (إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قُمْ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ) .

2- الآية (157) من سورة النساء : (وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا) .

³ كينيث كراج : (نداء المآذن) The call of the Minaret ص 224 - الطبعة الثانية مزيدة و منقحة - من مطبوعات Daystar 1985

⁴ قام نيل روبنسون بتلخيص رأي إخوان الصفا في كتاباته (المسيح في الإسلام و المسيحية) Christ in Islam and Christianity ص 56 - 57 - State University Press - نيويورك 1991) كما يلي : (لقد وضع جسد المسيح (ناسوته) على الصليب ، و تثبتت يده بالمسامير فيه ، و ظل مصلوباً طيلة يوم كامل حيث أسقي خلاً و ضُرب جنبه بالرمح ، ثم أنزل من فوق الصليب و كفن ووضع جسده في القبر ، و بعد مرور ثلاثة أيام ظهر المسيح للتلاميذ الذين سرعان ما تعرفوا عليه ، و عندما انتشرت الأخبار بعدم قتل المسيح هرع اليهود إلى المقبرة و فتحوها إلا أنهم لم يعثروا على أثر لناسوت المسيح (جثته) .

و على الرغم من أن إخوان الصفا يرفضون كلية الزعم المسيحي بألوهية المسيح ، إلا أنهم - على ما يبدو - يعتقدون حقيقة حدوث الصلب).

3- الآية (117) من سورة المائدة (مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُمْ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُمْ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ).

4- الآية (33) من سورة مريم : (وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا).

بخصوص التفاسير المختلفة لهذه الآيات يعرب المستشرق روجي أرنالز عن ما يلي :

" نرى أن التفاسير لا تتفق مع بعضها البعض ، و لكن السؤال على وجه الخصوص هو : متى مات المسيح؟ هل هو موت في نهاية حياة عادية أم موت سوف يحدث قبل نهاية الزمن عند اقتراب الساعة الأخيرة؟ هل كان ذلك موتاً حقيقياً أم مجرد سنة من النوم؟ و إن كان موتاً حقيقياً هل يتصادف مع وقت الرفع إلى السماء أم كانت هنالك فترة زمنية فاصلة بين الموت و الرفع؟ مع العلم أن جميع هذه الآراء لها من يؤيدها".⁵

و سنرى فيما يلي ما إذا كانت التفاسير و الشروح متعددة و متباينة على حد زعم أرنالز ، و إذا كان الأمر كذلك فإنني سأحاول البرهنة على أن تعدد هذه التفاسير و تنوعها لا يجب أن ينظر إليه على أنه علامة على ضعف هذه التفاسير و تناقضها ، و إنما هو دليل على تراث تفسيري زاخر .

1- الطبري

إن أول ما نتناوله من هذه التفاسير هو تفسير أبي جعفر محمد بن جرير الطبري (المتوفى سنة 310 هـ / 923 م) ، و مع أن هذا التفسير ليس أول تفسير تم تأليفه للقرآن ، إلا أنه من أوائل التفاسير التي مازالت تنري حياة المسلمين بعمقٍ و تأثيرٍ بالغين حتى يومنا هذا و يعتبره المسلمون بحق : " أفضل التفاسير المأثورة الجامعة لأقوال السلف في التفسير".⁶

و مع أن ما جمعه الطبري من أقوال سابقيه و تفاسيرهم هو بمثابة القلب من تفسيره هذا ، إلا أن بعض العلماء الذين درسوا هذا التفسير يجنحون إلى القول بأننا لا يجب أن نحكم على الطبري بدون وجه حق بأنه لم يقم فيه بشيء سوى نقل أقوال السلف الصالح دون أن يضيف إليها شيئاً من عنده .

يقول أحد محققي تفسير الطبري :

" ظلم بعضهم هذا التفسير كثيراً عندما جعلوه تفسيراً بالمأثور فقط ، و صنفوه في مدرسة التفسير الأثري . إنه تفسير بالمأثور و زيادة ، و هو يُصنف ضمن مدرسة التفسير الأثري النظري التي تجمع بين إيراد الأقوال المأثورة و بين النظرات و الاجتهادات و الاستنباطات - و التي أبدع الطبري فيها أيما إبداع".⁷

أما عن الآيات التي لها أكثر من وجه للتفسير فقد كان الطبري يوردها حسب نظام كان يتبعه دوماً و هو عمل قائمة مرتبة لهذه الوجوه طبقاً لمدى معرفته بالروايات التي توردها ، و بعد أن يقوم بترتيب هذه الاحتمالات

⁵ روجي أرنالز - عيسى بن مريم ، نبي الإسلام ، Jesus : Fils de Marie , prophete de l'Islam (Paris : Desclee 1980)

ص 191-190

⁶ صالح عبد الفتاح الخالدي - مقدمة أبي جعفر محمد بن جرير الطبري - تفسير الطبري : بجامع البيان في تأويل أي القرآن

- دمشق ، دار القلم - طبعة 1977 ، ص 6 المجلد الأول .

⁷ المرجع السابق

المقبولة كان يعلق على كلٍ منها على حدة كأن يقول : إن هذا تفسير راجح أو أن ذاك تعضده أدلة أكثر من غيره .

و مثلاً على هذا ، نورد تفسير الطبري لكلمة (متوفيك) من الآيه (55) في سورة آل عمران ، إذ يقول : " اختلف أهل التأويل في معنى الوفاة التي ذكرها الله عز و جل في هذه الآية .

1- فقال بعضهم : " هي وفاة نوم " و كان معنى الكلام على مذهبيهم : أني منيمك و رافعك في نومك . (ثم استشهد الطبري بأحد الأحاديث الذي يؤيد هذا التفسير) .

2- و قال آخرون : معنى ذلك : إني قابضك من الأرض فرافعك إلي . و قالوا معنى " الوفاة " القبض ، كما يقال : " توفيت من فلان ما لي عليه " بمعني : قبضته و استوفيته . قالوا فمعني قوله : (أني متوفيك و رافعك) أي : قابضك من الأرض حياً إلى جواربي و أخذك إلى ما عندي بغير موت ، و رافعك من بين المشركين و أهل الكفر بك . قال ابن زيد في قوله : (إني متوفيك و رافعك إلي) قال : (متوفيك) : قابضك ، قال : و (متوفيك) و (رافعك) واحد ، قال و لم يمت بعد حتى يقتل الدجال و سيموت .

و قرأ قول الله عز و جل : (و يكلم الناس في المهد و كهلاً) قال : رفعه الله إليه قبل أن يكون كهلاً ،

قال : و ينزل كهلاً . (و مضى الطبري يسوق بعض الأحاديث التي تدل على أن معنى الوفاة هو القبض) .

3- و قال آخرون : معنى ذلك : إني متوفيك وفاة موت حقيقي ، و معني (إني متوفيك) : أي : مميتك . (ثم أورد الطبري عدداً من الأحاديث التي تعضد هذا التفسير) .

4- و قال آخرون : هذا من المقدم الذي معناه التأخير ، و المؤخر الذي معناه التقديم ، و المعني : إذ قال الله يا عيسى إني رافعك إليّ و مطهرك من الذين كفروا ، و متوفيك بعد إنزالي إياك إلي الدنيا .

(ثم مضى الطبري أيضاً في سوق بعض الأحاديث التي تؤيد هذا التفسير) .

و أولي هذه الأقوال بالصحة عندنا ، قول من قال : (معنى ذلك : أنني قابضك من الأرض و رافعك إليّ) لتواتر الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه قال : " ينزل عيسى ابن مريم فيقتل الدجال ، ثم يمكث في الأرض مدة ذكرها " .⁸

* * *

و على هذا فقد ضمن الطبري في تفسيره أربع نظريات استقاها ممن سبقه من المفسرين و هي :

⁸ المرجع السابق

1- أن الله ألقى النوم على المسيح ،

2- أن الله توفاه ، أي قبضه ،

3- الموت بمفهومه الحقيقي ،

4- نظرية التقديم و التأخير (أي تقديم الرفع على الموت) .

و يبدو جلياً أن الطبري قد رجح النظرية الثانية لما لها من تأييد كبير في تفاسير السلف ، و لكن يجب علينا أن لا نغفل أن الطبري يقر بأن كلاً من هذه النظريات الأربع تحظى بالتأييد الشرعي من كافة التفاسير التي تناولت تلك النصوص القرآنية . و يمكن القول بأن نظرية إلقاء النوم على المسيح بمثابة أساس الرأي السائد في هذه الآونة و القائل بأن المسيح قد فقد وعيه على الصليب ثم استرد وعيه في القبر (و قد أشرنا إلى هذا الرأي سلفاً - ص 2) .

و قد أشار الطبري إلى نظرية البديل (و التي أومأنا إليها في الصفحة الثانية أيضاً) عند تفسيره للآية (157) من سورة النساء . كذلك ألمح الطبري إلى نظرية البديل بشيء من الإيجاز أثناء شرحه للآية (54) من سورة آل عمران و هي الآية السابقة مباشرة للآية التي أشرنا إليها ضمن الآيات الأربع ، إلا أن الطبري تناول هذه النظرية بشيء من التفصيل عند شرحه لكلمات : (شَبَّ لَهُمْ) و التي هي جزء من آية رقم (157) في سورة النساء .

لقد كان الطبري عالماً بروايات تؤيد نظريات متعددة لتفسير هذه الآية ، و في ذلك يقول :

(و قد اختلف أهل التأويل في صفة التشبيه الذي شَبَّ لليهود في أمر عيسى عليه السلام)⁹

و قد انتهج الطبري منهجاً مشابهاً عند سرد هذه النظريات المتعددة الخاصة بكيفية التشبيه ، حيث كان الطبري على علم برواية تقول بأن الله ألقى بشبه المسيح على كافة حواريه ، لدرجة أن اليهود لم يستطيعوا معرفة أيهم يكون المسيح الأصلي . كذلك كان الطبري على دراية بإحدى الروايات الأخرى التي تشير إلى أن المسيح قد سأل الحواريين أن يخرج من بينهم متطوع واحد ليلقي الله شبه المسيح عليه ثم يصلب بدلاً من المسيح .

و بعد أن عرض الطبري هاتين النظريتين عمد إلى بيان ترجيحه لأي منهما كما كانت عاداته ، حيث رجح الطبري النظرية الأولى القائلة بأن الله قد ألقى شبه المسيح على حواريه جميعاً ، و قد علل الطبري ترجيحه لهذا الرأي بقوله : لو ألقى شبه المسيح على واحد فقط من تلاميذه ، لكانت الحيرة في جانب اليهود فقط ، و لما وقع التلاميذ أنفسهم و لا الأجيال المسيحية التي تلتهم نهب الحيرة و الريبة .

أما بالنسبة لتفسير الآية (117) من سورة المائدة فقد جدد الطبري تأكيده على رجحان تفسير كلمة :

(تَوَفَّى) على أنها تعني (قَبَضَ) ، و قد أوضح الطبري بجلاء أن نظرية تأويل معنى توفى على أنه (قبض) تشتمل على النظرية القائلة بالبديل ، و لم يزد الطبري عن أن كرر نفس الألفاظ القرآنية الواردة في الآية (33) من سورة مريم (عن موت المسيح و إبعائه) عند تناوله الخاطف لتفسير هذه الآية ، حتى أنه لم يعرج إلى الحديث عما إذا كانت لهذه الآية علاقة ضمنية بما حدث على الصليب أم لا .

⁹ المرجع السابق

2- فخر الدين الرّازي

إذا كان الطبري هو إمام التفسير بالمأثور ، فإن تفسير فخر الدين الرّازي (المتوفى سنة 606 هـ - 1210م)¹⁰ يعد حجة في التفسير بالرأي ، حيث كان الرّازي يعرض للتفسير المتعددة التي خلفها السلف ، كما كان يستشهد بما ورد عن النبي و الصحابة و التابعين من أخبار و آثار ، و لكنه لم يرَ ضرورة تكرار الأسانيد الخاصة بهذه الآثار أو تلك الأخبار - على عكس ما كان يرى الطبري .

و نظراً لما وهب الله الرّازي من عقل فطن ، محلل و مدقق¹¹ فقد كان يعتمد إلى عرض الوجوه الممكنة للنص ثم يقوم بتقييمها وفقاً لأهميتها من الناحية العقائدية .

و لقد كان الرّازي ملماً بعلم الحديث و التفسير ، كما كان من أئمة الكلام النابھين ، بالإضافة إلى خبرة واسعة و حذقٍ بالفلسفة ، إلى جانب التزامه التام بالذبّ عن فرقة الأشاعرة ضد مبادئ المعتزلة و الفرق الإسلامية الأخرى .

و لقد قام الرّازي بتوظيف هذه العلوم و المعارف أيما توظيف عند تناوله لمسألة موت المسيح ، و هو ما دفع جين ماكوليف إلى القول عن تحليل الرّازي لوجوه تأويل كلمة (متوفيك) :

" إن ما قام به الرّازي هو عمل تفسيري في منتهى الروعة و الإتقان "¹².

إننا نجد أن الرّازي قد بدأ بتقسيم التأويل الخاص بكلمة (.. متوفيك ..) (الآية 55 من سورة آل عمران) إلى طريقين :

- الأول : و هو إجراء الآية على ظاهرها من غير تقديم و لا تأخير فيها ،
- و الثاني : و هو فرض التقديم و التأخير فيها.

و يبدو جلياً أن الرّازي كان يميل إلى الطريق الأول (و الذي أسماه بالظاهر) و يقدمه ، و قد أثبت الرّازي ثمانية وجوه مختلفة لإيراد معنى (متوفيك) و قد أكد صراحة على أنه يعتبر جميع هذه الوجوه مقبولة ، و هي :

1- الوجه الأول :معنى قوله تعالى : (إني متوفيك) أي متمم عمرك فلا أتركهم حتى يقتلونك ، بل أنا رافعك إلى سمائي ، و مقربك بملائكتي ، و أصونك عن أن يتمكنوا من قتلك ، و هذا تأويل حسن.

2- الوجه الثاني : (متوفيك) أي مميتك ، و هو مروى عن ابن عباس و محمد بن إسحاق ، قالوا : و المقصود أن لا يصل أعداؤه من اليهود إلى قتله ثم أنه بعد ذلك أكرمه بأن رفعه إلى السماء . ثم

¹⁰ و يصر ماكوليف بعدم صحة الرأي القائل بوفاته سنة 1209 م

¹¹ محمود أيوب ، " نحو كريستولوجي إسلامي Towards an Islamic Christology الجزء الثاني : موت المسيح بين الحقيقة و الافتراء (دراسة حول وفاة المسيح في تفاسير أهل السنة في العالم الإسلامي) المجلد 70

(1980 The Hartford Seminary foundation) ص 92

¹² ماكوليف ص 137

اختلفوا على ثلاثة أوجه : أحدها : قال وهب : توفي ثلاث ساعات ثم رُفِعَ ، و ثانيها : قال محمد بن إسحاق : توفي سبع ساعات ، ثم أحياء الله و رفعه ، و ثالثها : قال الربيع بن أنس : إنه تعالى توفاه حين رفعه إلى السماء ، قال تعالى :

(الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها) [الزمر : 42]

3- الوجه الثالث : أن الواو في قوله تعالى (متوفيك و رافعك إليّ) تفيد الترتيب ، فالآية تدل على أن الله يفعل به هذه الأفعال ، فأما كيف يفعل و متى يفعل ، فالأمر فيه موقوف على الدليل ، و قد ثبت الدليل أنه حيّ ، و ورد الخبر عن النبي (صلى الله عليه و سلم) : أنه سينزل و يقتل الدجال، ثم إنه تعالى يتوفاه بعد ذلك .

4- الوجه الرابع : ما قاله أبو بكر الواسطي ، و هو أن المراد (إني متوفيك) عن شهواتك و حظوظ نفسك، ثم قال تعالى (و رافعك إليّ) و ذلك لأن من لم يصر فانياً عما سوى الله لا يكون له وصول إلى مقام معرفة الله ، و أيضاً فعيسى لما رُفِعَ إلى السماء صار حالة كحال الملائكة في زوال الشهوة و الغضب و الأخلاق الذميمة .

5- الوجه الخامس : أن التوفي هو أخذ الشيء وافيّاً ، و لما علم أن من الناس من يخطر بباله أن الذي رفعه الله هو روحه لا جسده ذكر هذا الكلام ليدل على أنه عليه السلام رفع بتمامه إلى السماء بروحه و جسده، و يدل على صحة هذا التأويل قوله تعالى (و ما يضررونك من شيء) [النساء : 113].

6- الوجه السادس : (إني متوفيك) أي أجعلك كالمتوفى ، لأنه إذا رفع إلى السماء و انقطع خبره و أثره عن الأرض كان كالمتوفى ، و إطلاق اسم الشيء على ما يشابهه في أكثر خواصه و صفاته جائز حسن.

7- الوجه السابع : أن التوفي هو القبض ، يقال : و قاني فلان دراهمي و أوفاني و توفيتها منه كما يقال سلم فلان دراهمي إليّ و تسلمتها منه ، و قد يكون أيضاً توفى بمعنى استوفى ، و على كلا الاحتمالين كان إخراجهم من الأرض و رفعه إلى السماء توفياً له.

8- الوجه الثامن : أن يقدر فيه حذف المضاف و التقدير : متوفى عملك بمعنى مستوفى عملك (و رافعك إليّ) أي و رافع عملك إليّ ، و هو كقوله تعالى : (إليه يصعد الكلم الطيب) [فاطر : 10] ، و المراد من هذه الآية أن الله بشره بقبول طاعته و أعماله ، و عرفه أن ما يصل إليه من المتاعب و المشاق في تمضية دينه و إظهار شريعته من الأعداء فهو لا يضيع أجره و لا يهدم ثوابه .

فهذه جملة الوجوه المذكورة على قول من يجري الآية على ظاهرها .¹³

و قد أكد الرازي على أن هذه الوجوه المختلفة تحظى بقبول علماء الأمة الإسلامية ، و لقد أشرنا إلى بعض هذه الوجوه من قبل مثل تلك القائلة ب :

1- موت المسيح و إحياءه حقيقة (كما في 2) ،

2- أن الوفاة تعني القبض (كما في 7) .

و إن كانت هناك بعض الوجوه التي لم نوردتها فُبلأ ، مثل التي تشير إلى :

1- إتمام حياة المسيح (كما في 1) ،

2- عدم العلم بوقت و لا كيفية الموت أو الرفع إلى السماء (كما في 3) ،

3- أن الموت و الرفع كانا بالروح و الجسد معاً (كما في 5) ،

4- تفسير الواسطي الصوفي الذي ذهب إلى أن المقصود هنا هو موت الشهوات و اللذات النفسية و الجسدية (كما في 4) .

و بعد أن استعرض الرازي وجوه التأويل طبقاً للمعنى الظاهر ، عرج بعد ذلك على الصنف الثاني (نظرية التقديم و التأخير) قائلاً : " و أما الطريق الثاني : و هو قول من قال : لا بد في الآية من تقديم و تأخير ، حيث أن الواو في قوله (متوفيك و رافعك) لا تقتضي الترتيب ، و المعنى أنه رافعه حياً ثم يتوفاه بعد إنزاله في الدنيا" . و إن كان الرازي لا يرى وجوب التقديم أو التأخير طالما أن المعنى يمكن فهمه بسهولة و يسر من الظاهر ، و يختتم الرازي حديثه قائلاً :

" و أعلم أن الوجوه الكثيرة التي قدمناها تغني عن التزام مخالفة الظاهر – و الله أعلم" .¹⁴

و قد أفرد الرازي مساحة كبيرة للحديث عن نظرية (البديل) خاصة فيما يتعلق بالآية (55) من سورة آل عمران ، و الآية (157) من سورة النساء ، و يرى أن افتراض وجود بديل للمسيح هو السبيل الأمثل لفهم آية النساء¹⁵ : (... و ما قتلوه و ما صلبوه و لكن شبه لهم ...) ، و مع ذلك فإن الرازي يرى أن على هذه النظرية أن تجيب عن اعتراضين أحدهما لغوي و الآخر عقائديّ .

و يعرض الرازي للاعتراض اللغوي عند تفسيره للآية (157) من سورة النساء فيقول :

" قوله تعالى : (شبهه) مسند إلى ماذا ؟ - إن جعلته مسنداً إلى المسيح فهو مشبه به و ليس بمشبهه ، و إن أسندته إلى المقتول فالمقتول لم يجر له ذكر .

و الجواب من وجهين :

¹³ محمد فخر الدين ضياء الدين عمر الرازي - تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير و مفاتيح الغيب ، تحقيق خليل

محي الدين المايس (بيروت : دار الفكر 1990)

¹⁴ المرجع السابق

¹⁵ و نرى الرازي يقول عند تفسيره للآية (55) من سورة آل عمران : " و لفظ القرآن يدل على أن الله تعالى رفع المسيح و ألقى شبهه على غيره " ثم أننا نلاحظ من تفسيره للآية (157) من سورة النساء أنه ليس متأكداً بالدرجة ذاتها من أن هذه هي الطريقة المثلى لتأويل هذه الآية .

الأول : أنه مسند إلى الجار و المجرور ، و هو كقولك : حُيِّلَ إليه ، كأنه قيل : و لكن وقع لهم الشبه .
الثاني : أن يسند إلى ضمير المقتول لأن قوله تعالى (و ما قتلوه) يدل على أنه وقع القتل على غيره فصار ذلك الغير مذكوراً بهذا الطريق ، فحسن إسناد (شُبَّه) إليه " 16

و تجدر الإشارة إلى أن الجواب الثاني يفترض جدلاً حدوث عملية تبديل ، على العكس تماماً من الجواب الأول و الذي يعرض الفعل (شُبَّه) المبني للمجهول على أنه مسند لغير العاقل ، إذ المعنى : هكذا بدا الأمر لهم ، أو : اشتبهه (التبس) الأمر عليهم .

ثم عرض الرازي لذلك الاعتراض العقائدي و حاول الإجابة عليه في ما يلي :¹⁷
" إذا جاز أن يقال إن الله تعالى يلقي شبه إنسان على إنسان آخر فهذا يفتح باب السفسطة ، فإننا إذا رأينا زيدا فعله ليس بزید ، و لكنه ألقى شبه زيد عليه ، و عند ذلك لا يبقى النكاح و الطلاق و الملك موثقاً به ، و أيضاً يفضي القدر في التواتر لأن خبر التواتر إنما يفيد العلم بشرط انتهائه في الآخرة إلى المحسوس . فإذا جوزنا حصول مثل هذه الشبهة في المحسوسات توجه الطعن في التواتر ، و ذلك يوجب القدر في جميع الشرائع ، و ليس لمجيب عنه بأن ذلك مختص بزمان الأنبياء عليهم السلام .
لأننا نقول : لو صح ما ذكرتم فذلك إنما يعرف بالدليل و البرهان فمن لم يعلم ذلك الدليل و لا ذلك البرهان وجب أن لا يقطع بشيء من المحسوسات و وجب أن لا يعتمد على شيء من الأخبار المتواترة ، و أيضاً ففي زماننا إن انسدت المعجزات فطريق الكرامات مفتوح ، و حينئذ يعود الاحتمال المذكور في جميع الأزمنة .
و بالجملة ففتح هذا الباب يوجب الطعن في التواتر ، و الطعن فيه يوجب الطعن في نبوة جميع الأنبياء عليهم الصلاة و السلام ، فهذا فرع يوجب الطعن في الأصول فكان مردوداً .
و الجواب :

اختلفت مذاهب العلماء في هذا الموضوع و ذكروا وجوهاً خمسة :
الوجه الأول : أن اليهود عمدوا إلى قتل رجل آخر و زعموا كاذبين أنهم قتلوا المسيح نفسه .
الوجه الثاني : أن اليهود لما علموا أنه حاضر في البيت الفلاني مع أصحابه ، أمر يهوذا رئيس اليهود رجلاً من أصحابه يقال له طيطايوس أن يدخل على عيسى عليه السلام من سقف البيت و ألقى على ذلك الرجل شبه عيسى فظنوه هو فاصلبوه و قتلوه .
الوجه الثالث : أن اليهود وكلوا عيسى رجلاً يحرسه و صعد عيسى عليه السلام في الجبل و رفع إلى السماء ، و ألقى الله شبهه على ذلك الرقيب فقتلوه و هو يقول لست بعيسى .

¹⁶ انظر تفسير الفخر الرازي .
¹⁷ و قد أثبت الرازي إشكالات أخرى و حاول الإجابة عليها عند تفسيره للآية (55) من سورة آل عمران .

الوجه الرابع : أن اليهود لما هموا بأخذ عيسى عليه السلام و كان معه عشرة من أصحابه فقال لهم : من يشترى الجنة بأن يلقي عليه شبيهي ؟ فقال واحد منهم : أنا ، فألقى الله شبه عيسى عليه فأخرج و قُتل ، و رفع الله عيسى عليه السلام .

الوجه الخامس : كان رجل يدعي أنه من أصحاب عيسى عليه السلام ، و كان منافقاً فذهب إلى اليهود ليدلهم عليه ، فلما دخل اليهود لأخذه ألقى الله تعالى شبهه عليه فُقُتل و صُلب .

و هذه وجوه متعارضة متدافعة و الله أعلم بحقائق الأمور.¹⁸

و يمكنني القول بأن تفسير فخر الدين الرازي هو أكثر التفاسير التي يتناولها هذا البحث دقة و أعظمها شرحاً و أمتعها تحليلاً لما اعتقده مسيحيوا الشرق حول موت المسيح و قيامته . إن كلاً من تحليلاته للمعتقدات المسيحية و تعليقاته على تلك المعتقدات لجديرة بأن نقتبسها بأكملها.

و يمضي الرازي في تفسير الآية (157) من سورة النساء إلى أن يصل إلى الكلمات : (و إن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ...) فيقول :

النصارى متفقون بأسرهم على أن اليهود قتلوه ، إلا أن كبار فرق النصارى ثلاثة : النسطورية ، و الملكانية¹⁹ و اليعقوبية²⁰ :

أ - أما النسطورية : فقد زعموا أن المسيح صلب من جهة ناسوته لا من جهة لاهوته ، و أكثر الحكماء يرون ما يقرب من هذا القول ، قالوا لأنه يثبت أن الإنسان ليس عبارة عن هذا الهيكل بل هو إما جسم شريف مناسب في هذا البدن ، و إما جوهر روحاني مجرد في ذاته و هو مدبر في هذا البدن ، فالقتل إنما ورد على هذا الهيكل ، و أما النفس التي هي في الحقيقة عيسى عليه السلام فالقتل ما ورد عليه.

لا يقال : فكل إنسان كذلك فما الوجه لهذا التخصيص ؟

لأننا نقول : إن نفسه كانت قدسية علوية سماوية شديدة الإشراف بالأنوار الإلهية عظيمة القرب من أرواح الملائكة ، و النفس متى كانت كذلك لم يعظم تألمها بسبب القتل و تخريب البدن ، ثم أنها بعد

الانفصال عن ظلمة البدن تتخلص إلى فسحة السموات و أنوار عالم الجلال فيعظم بهجتها و سعادتها هناك.

و معلوم أن هذه الأحوال غير حاصلة لكل الناس بل هي غير حاصلة من مبدأ خلقه آدم عليه السلام إلى قيام القيامة إلا لأشخاص قليلين ، هذه هي الفائدة في تخصيص عيسى عليه السلام بهذه الحالة .

¹⁸ انظر تفسير الفخر الرازي.

¹⁹ هم الذين يتبعون مذهب الكنيسة البيزنطية.

²⁰ استخدم الكتاب لفظ (اليعقوبية) كمصطلح شامل لكافة الكنائس التي تسمى (بالوحداني طبيعية) و ليس فقط للكنيسة السورية التي كانت تتبع تعاليم يعقوب بن اداي .

ب - و أما الملكانية فقالوا : القتل و الصلب وصلا إلى اللاهوت بالإحساس و الشعور لا المباشرة .
ج - و قالت اليعقوبية : القتل و الصلب وقعا بالمسيح الذي هو جوهر متولد من جوهرين .

فهذا هو شرح مذاهب النصارى في هذا الباب ، و هو المراد من قوله تعالى :
(وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه) .

و قد ذهب محمود أيوب في مقال له نشر عام 1980 م إلى أن تعليقات الرازي حول مسألة وفاة المسيح لهي مثال رائع لما أسماه " بجوهر الاتساق القرآني و الغوص وراء المعاني لما وراء حقائق التاريخ المجردة " ²¹، ثم يمضي أيوب قائلاً :

" إن عبارات الرازي لترتقي إلى درجة الإحاطة بأسرار التحدي القرآني حول حياة السيد المسيح ، كما تمثل هذه العبارات نقطة بدء جيدة للتفاهم بين المسلمين و المسيحيين " . ²²

و قد ذهب الرازي إلى أنه كانت للمسيح طبيعة مزدوجة ؛ يعني أنه كان روحانياً و بدنياً في نفس الوقت ، و لا أظن أن ما ذهب إليه الرازي هو مجرد بدعة إغريقية قديمة دونما أصل في التراث الإسلامي الوثيق ، إذ يمكننا أن نتلمس جذور هذه الفكرة في أعمال بن إسحاق كاتب أول سيرة نبوية - و الذي أشار إليه الرازي سلفاً .

يقول ابن إسحاق : [بعد أن أمر المسيح تلاميذه أن يحملوا كلمة الله إلى العالم] ، و رفع الله المسيح ، و كساه الريش و ألبسه النور و قطع عنه شهوة المطعم و المشرب ، فطار مع الملائكة و ظل معهم يطوف حول العرش ، إذ كان إنسياً ملائكياً ، أرضياً سماوياً]. ²³

3- القرطبي

هو أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (المتوفي سنة 671 هـ / 1272م) صاحب أحد التفاسير جلية القدر و الذي انتهج فيه منهج التفسير بالمأثور ²⁴ . و لقد أثبت القرطبي كثيراً من الروايات التي ذكرها الطبري ، و إن كان قد أثبت روايات أخرى لم تكن للطبري دراية بها .
و على العكس من الطبري فإن القرطبي كان يورد القليل من الأسانيد الكاملة مركزاً جُلّ اهتمامه على متون الأحاديث .

و على الرغم من أن القرطبي كان لا يميل إلى التفسير بالرأي ²⁵، إلا أننا سنلاحظ فيما يأتي أنه كان لا يتوانى في اللجوء إلى الرأي* عند المفاضلة بين وجوه التفسير المختلفة ، بدلاً من الاعتماد على صحة الإسناد .

²¹ انظر هامش رقم 14

²² المرجع السابق

²³ جوردان دارنيل نيوباي The Making of the Last Prophet إعادة صياغة سيرة النبي محمد (صلى الله عليه و سلم)

(Colombia : University of South Carolina Press) (1989م) ص 210

²⁴ و قد رفض القرطبي صراحة فكرة التفسير بالرأي - روجي أرناالدز Roger Arnaldez : أبو عبد الله القرطبي في دائرة المعارف

الإسلامية The Encyclopaedia of Islam الطبعة الثانية Leiden (1960 م) ص 513

²⁵ المرجع السابق

* الرأي عند الأصوليين هو استنباط الأحكام الشرعية باستخدام قواعد مقررة - المعجم الوجيز - المترجم

و لقد أثبت القرطبي في تفسيره وجوهاً عدّة للنظريات المختلفة حول موت المسيح ، و منها :

- 1- التقديم و التأخير (أي تقديم الرفع على الموت) ،
- 2- القبض و الرفع من الأرض إلى السماء ،
- 3- الموت بمفهومه الحقيقي و القيامة بعد الموت ،
- 4- النوم ،
- 5- نظرية البديل أو الشبيه.

و إن كان القرطبي لم يستحسن تلك النظرية القائلة بموت المسيح موتاً حقيقياً و قيامته لما تنطوي عليه من تعارض للأحاديث المتواترة بنزول المسيح عليه السلام في آخر الزمان و قتله للدجال ، و مع ذلك فقد ارتأى القرطبي أن يثبتها كأحد النظريات التي تحظى بتأييد بعض علماء الإسلام على أساس وجود بعض الأحاديث التي تعضدها.

و قد أثبت القرطبي الوجوه الآتية حول وفاة المسيح و رفعه في الآية (55) من سورة آل عمران ، يقول القرطبي :

- 1- قال جماعة من أهل المعاني منهم الضحّاك و الفرّاء في قوله تعالى : (إني متوفيك و رافعك إليّ) على التقديم و التأخير ، لأن الواو لا توجب الرتبة . و المعنى : إني رافعك إليّ و مطهرك من الذين كفروا و متوفيك بعد أن تنزل من السماء.
- 2- و قال الحسن و ابن جريج : معنى (متوفيك) : قابضك و رافعك إلى السماء من غير موت ، مثل توفيت مالي من فلان أي قبضته .
- 3- و قال وهب بن منبه : توفى الله عيسى عليه السلام ثلاث ساعات من نهار ثم رفعه إلى السماء . و هذا فيه بُعد ؛ فإنه صح في الإخبار عن النبي صلى الله عليه و سلم - نزوله و قتله الدجال على ما بيناه في كتاب التذكرة ، و في هذا الكتاب حسب ما تقدم ، و ما يأتي.
- 4- و قال ابن يزيد : (متوفيك) : قابضك ، و متوفيك و رافعك واحد ، و لم يمت بعد.
- 5- و روى ابن طلحة عن ابن عباس : معنى متوفيك : مميتك.
- 6- الربيع بن أنس : و هي وفاة نوم ؛ قال الله تعالى : (و هو الذي يتوفاكم بالليل ...) [الأنعام 60] أي : ينيمكم ، لأن النوم أخو الموت ؛ كما قال صلى الله عليه و سلم - لما سئل : أفي الجنة نوم ؟ قال : لا ، النوم أخو الموت ، و الجنة لا موت فيها " . أخرجه الدار قطنى.
- 7- و الصحيح أن الله تعالى رفعه من غير وفاة و لا نوم إلى السماء كما قال الحسن و ابن زيد ، و هو اختيار الطبري ، و هو الصحيح عن ابن عباس ، و قاله الضحّاك . قال الضحّاك : كانت القصة لما أرادوا قتل عيسى اجتمع الحواريون في غرفة و هم اثنا عشر رجلاً فدخل عليهم المسيح من مشكاة الغرفة ، فأخبر إبليس اليهود فركب منهم أربعة آلاف رجل فأخذوا باب الغرفة ،

فقال المسيح للحواريين : أيكم يخرج و يُقتل و يكون معي في الجنة ؟ فقال رجل : أنا يا نبي الله ، فألقى إليه مدرعة من صوف و عمامة من صوف و ناوله عكازه و ألقى عليه شبه عيسى ، فخرج على اليهود فقتلوه و صلبوه " و أما المسيح فكساه الله الريش و ألبسه النور و قطع عنه لذة المطعم و المشرب فطار مع الملائكة " .²⁶

8- و أخيراً أورد القرطبي قصة مشابهة لتلك المثبتة في 7 متضمنة إلقاء شبه المسيح على غيره ، و إن كانت تختلف عن سابقتها في بعض الأمور.²⁷

و على هذا فقد أثبت القرطبي خمسة وجوه للتفسير السائرة في العالم الإسلامي ؛ و هي :

- 1- التقديم و التأخير (كما في 1) ،
- 2- الوفاة بمعنى القبض (كما في 2 ، 4) ،
- 3- الموت الحقيقي و القيامة بعد الموت (كما في 3 ، 5) ،
- 4- الموت بمعنى النوم (كما في 6) ،
- 5- و وجود البديل (كما في 7 ، 8) .

لعلنا لاحظنا أن القرطبي قد أورد سلسلة الإسناد في الوجه الثامن كاملة ، دون الاختصار على ذكر من ينسب إليه ذلك الرأي ، و إذا ما أخذنا هذا في الاعتبار علاوة على أن القرطبي قد أفرد مساحة كبيرة للوجهين السابع و الثامن إذا ما قورنا بغيرهما، تبين لنا أن القرطبي كان يميل إلى نظرية البديل . و قد ألمح القرطبي بإيجاز إلى هذه النظرية عند تفسيره للآية (157) من سورة النساء نظراً لأنه قد ذكرها بشيء من التفصيل عند تفسيره لسورة آل عمران آية (55) و قد أثبتناها سلفاً . و على الرغم من استحسان القرطبي لنظرية البديل إلا أنه أقر بأن الوجوه الأخرى تحظى أيضاً بقبول علماء الإسلام .

و قد ذكر القرطبي نظرية موت المسيح موتاً حقيقياً و قيامته عند تفسيره للآية (117) من سورة المائدة () و نلاحظ أنه قد استخدم كلمة : " وفاة " و هي غير واضحة الدلالة على الموت و إن كان السياق يدل دلالة قاطعة على أنه كان يعني كلمة : " موت " .

و قد ارتأى القرطبي أيضاً أن يثبت هذه النظرية عند تفسيره لسورة المائدة تماماً كما فعل مع سورة آل عمران نظراً لتأصل هذه النظرية ، حتى و إن كان يرى أنها تتناقض مع الاعتقاد بنزول المسيح في آخر الزمان و قتله الدجال .

يقول القرطبي :

²⁶ لعلكم تلاحظون أننا قد أوردنا هذه العبارة الأخيرة [الموضوعية بين علامتي التنصيص] رواية عن ابن إسحاق ، لكن القرطبي قد حذف تكملة هذه العبارة و التي تقول بأن المسيح " كان إنسياً ملائكياً أرضياً سماوياً " .
²⁷ أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي - الجامع لأحكام القرآن ، تحقيق : محمد إبراهيم الحفناوي - القاهرة : دار الحديث - 1994 م .

" أما قوله تعالى : (فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم) قيل : هذا يدل على أن الله عز و جل توفاه قبل أن يرفعه ؛ و ليس بشيءٍ ؛ لأن الأخبار تظاهرت برفعه ، و أنه في السماء حي ، و انه ينزل و يقتل الدجال - على ما يأتي بيانه - و إنما المعنى : فلما رفعتني إلى السماء ."
قال الحسن :

الوفاة في كتاب الله على ثلاثة أوجه :

1- وفاة الموت : و ذلك قوله تعالى : (الله يتوفى الأنفس حين موتها) [سورة الزمر ، آية 42]

، يعني يتوفاه عند انقضاء الأجل .

2- وفاة النوم : قال الله تعالى : (و هو الذي يتوفاكم بالليل) [سورة الانعام ، آية 60] ،

يعني ينيكم .

3- وفاة الرفع : قال الله تعالى : (يا عيسى إني متوفيك) [سورة آل عمران ، آية 55] ، أي

: " رافعك " ²⁸

4- البيضاوي

نظراً لأننا نركز في بحثنا هذا على أشهر تفاسير أهل السنة فقد استبعدنا تفسير الزمخشري على الرغم مما انطوى عليه هذا التفسير من روعة البيان ، و إحاطة بمكنون لغة القرآن .

و لقد انبرى علماء الأشعرية للتحذير من ذلك النهج الذي اتبعه الزمخشري في تأويل القرآن بما يمكنه من الانتصار " لمبادئ المعتزلة الفاسدة " ²⁹ ، بالرغم من أن الأشاعرة قد أبدوا إعجاباً كبيراً بحذق الزمخشري في علوم اللغة و أساليبها .

و مع كل هذا يمكننا أن نتلمس آراء الزمخشري و أفكاره (و لكن بعد تطهيرها من شوائب الإعتزال) في طيات تفسير ناصر الدين أبي سعيد عبد الله البيضاوي (المتوفى سنة 685 هـ / 1286 م أو سنة 691 هـ / 1291 م) و الذي يعتبر إلى أبعد الحدود نسخة موجزة و منقحة من تفسير الزمخشري المسمى بالكشاف ³⁰ و إن كان تفسير البيضاوي يحظى بشهرة أكبر ، و إقبال المسلمين على قراءته أكثر ، و ذلك لرفضه لمبادئ الزمخشري التي تصطبغ بالاعتزال ، و لصغر حجم هذا التفسير و سهولة حمله .

لكنه من الخطأ أن نحكم على تفسير البيضاوي بأنه ليس إلا مجرد صورة من الكشاف و لكن بصياغة جديدة . و لقد كان البيضاوي محيطاً بمعظم التفاسير الكبرى التي سبقتة ، و لا غرو فتفسير البيضاوي من أعظم التفاسير ذكراً ، و أجلها قدراً في العالم الإسلامي اليوم .

²⁸ المرجع السابق

²⁹ هذه العبارة مقتبسة من مقدمة ابن خلدون ، و التي أوردها ماکوليفي في ص 52 كمثال من بين أمثلة كثيرة لتحذير علماء أهل السنة من قراءة تفسير الزمخشري .

³⁰ ج - روبنسون : البيضاوي في موسوعة الإسلام The Encyclopaedia of Islam الطبعة الثانية (Leiden 1960 م) .

علنا نلاحظ أن البيضاوي كثيراً ما يكتفي بسرد وجوه التفسير المختلفة للنص الواحد ، دون أن يذكر مصدر هذه الوجوه أو ما يرجحها منها ، و لعله كان يحرص على أن يكون أسلوب كتابه وجيزاً و حجمه رشيقاً .
و هذا هو ما انتهجه البيضاوي عند تفسيره للآية (55) من سورة آل عمران ، فنراه يقول :
(إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ...)³¹ :

- 1- أي مستوفى أجلك و مؤخرتك إلى أجلك المسمى ؛ عاصماً إياك من قتلهم ،
- 2- أو قابضك من الأرض - من توفيت مالي أي قبضته ،
- 3- أو متوفيك نائماً ، إذ روى أنه رُفِع نائماً ،
- 4- أو مميتك عن الشهوات العائقة عن العروج إلى عالم الملكوت ،
- 5- و قيل أماته الله سبع ساعات ثم رفعه إلى السماء و إليه ذهب النصارى.³²

فترى أنه قد أثبت العديد من النظريات لتفاسير صحيحة أشرنا إليها سلفاً و هي :

- 1- استيفاء الأجل ،
- 2- الوفاة بمعنى القبض ،
- 3- النوم ،
- 4- موت الشهوات ،
- 5- موت و قيامة حقيقية.

و يعلق البيضاوي على الآية (117) من سورة المائدة قائلاً :

(فلما توفيتني ..) بالرفع إلى السماء ، لقوله : (إني متوفيك و رافعك) و التوفى :

أخذ الشيء وافياً ، و الموت نوع منه ؛ قال الله تعالى : (الله يتوفى النفس حين موتها و التي لم تمت في منامها ...)³³.

ثم يقول البيضاوي في تفسير الآية (157) من سورة النساء :

و قال قوم : صلب الناسوت و صعد اللاهوت³⁴ (و يفهم من سياق الكلام أن هؤلاء القوم كانوا من اليهود أو النصارى).

كذلك كان البيضاوي على دراية بنظرية البديل المسيح على غيره و بالأحاديث التي تؤيد هذه النظرية ، و قد

أورد البيضاوي روايتين مختلفتين لهذه المسألة عند تفسيره للآية (157) من سورة النساء ؛ فيقول :

- 1- رُوي أن رهطاً من اليهود سبوا المسيح و أمه فدعا عليهم فمسخهم الله تعالى قرده و خنازير ، فاجتمعت اليهود على قتله فأخبره الله بأنه يرفعه إليه فقال لأصحابه أيكم يرضى أن يلقي

³¹ قام الباحث جوزيف كامينج بترقيم الوجوه و تقسيمها إلى فقرات صغيرة- المترجم.

³² ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي - تفسير البيضاوي المسمى : أنوار التنزيل و أسرار التأويل - بيروت ، دار الكتب العلمية - 1988 م.

³³ تفسير البيضاوي - و الآية المقتبسة هنا : (الله يتوفى النفس حين موتها ...) هي الآية رقم (42) من سورة الزمر .

³⁴ المرجع السابق

عليه شبيهي فيقتل و يصلب و يدخل الجنة ؟ فقام رجل منهم ، فألقى الله عليه شبه المسيح فقتل و صلب.

2- و قيل دخل طيطانوس اليهودي بيتاً كان هو فيه فلم يجده ، و ألقى الله عليه شبهه ، فلما خرج ظنَّ أنه عيسى فأخذ و صُلب. و أمثال ذلك من الخوارق لا تستبعد في زمن النبوة
35 .

و مع هذا فقد أثبت البيضاوي إشكاليين كبيرين حول نظرية البديل:

أحدهما عقائدي و يتعلق بإسناد صفة " المكر " إلى الله تعالى ، و الآخر لغوي و يتعلق باختلاف المفسرين و النحاة حول مسند الفعل (شُبِّهَ).

يقول البيضاوي معلقاً على الآية(54) من سورة آل عمران :

(و مكروا و مكر الله ...) حين رفع عيسى عليه السلام و ألقى شبهه على من قصد اغتياله حتى قُتل ، و المكر من حيث أنه في الأصل حيلة يجلب بها مضرة الغير لا يسند إلى الله تعالى إلا على سبيل المقابلة و الازدواج.³⁶

لذا يرى البيضاوي أنه لكي تكون هذه النظرية مقبولة لديه ، فإن ذلك يستلزم الافتراض بأن الشخص الذي صلب بالفعل هو نفسه الذي كان يقصد اغتيال المسيح.³⁷

و أرى بدهاءة أن ما ذهب إليه البيضاوي لا يستلزم اعتراضه على هذه النظرية لمثل هذه الإشكالات الواهية، و إن كان هذا الاعتراض ينم عن عدم اعتداده بالغالبية العظمى من الروايات التي تعضد هذه النظرية (بما في ذلك الروايات ذات الأسانيد الكاملة) و التي تفيد بأن إنساناً بريئاً (سواء أكان أحد تلاميذ السيد المسيح ، أو سرجيوس ، أو سمعان القيرواني ، أو أي عابر سبيل مجهول الاسم ... إلخ) قد صلب ظلماً بسبب مكر الله بإلقائه شبه المسيح عليه) .

أما الروايات التي تفيد بأن رجلاً خائناً (مثل يهوذا الإسخريوطي) قد صلب فقلما نجد ما يؤيدها في الأحاديث النبوية .

و يتفق محمود أيوب [الذي تعبر كتاباته عما يدور في الأمة الإسلامية]³⁸ مع ذلك النقد العقائدي الموجه إلى نظرية البديل ، فيقول :

" إنني لا أقول بصحة نظرية البديل بغض النظر عن الشكل الذي تتخذه أو الغرض الذي تهدف إليه ؛ فهي قبل كل شيء تمثل استخفافاً بعدل الله و ميثاقه القديم الذي اتخذه مع خلقه ؛ و هو أن يقيم الله التاريخ البشري على الطريق الموصل إلى غايته القصوى³⁹ .

³⁵ المرجع السابق

³⁶ المرجع السابق

³⁷ المرجع السابق

³⁸ محمود أيوب ، 1980م ، ص 91

³⁹ و قد علق محمود أيوب على هذا في الهامش - انظر (2 : 172 - 2 : 38)

فهل يمكن أن يتفق ميثاق الله و عدله و رحمته مع خداع هذه البشرية طيلة هذه القرون الماضية؟⁴⁰..
إن هذا لمن شأنه أن يظهر أن الدين المسيحي قد بنى من الناحية التاريخية على الخداع و التضليل الإلهي
و الذي كشف عنه القرآن الكريم عند نزوله بعد عدة قرون".⁴¹

أما بالنسبة للإشكال الثاني (و هو الإشكال اللغوي) ، فيقول البيضاوي في تأويل الآية (157) من سورة النساء
بعد أن أورد روايتين مختلفتين لقصة إلقاء الشبه على بديل :
" (و ما قتلوه و ما صلبوه و لكن شُبَّه لهم ..) : الفعل (شُبَّه) مسند إلى الجار و المجرور كأنه قيل : ولكن وقع
لهم التشبيه بين عيسى و المقتول ، أو في الأمر على قول من قال لم يقتل أحد و لكن أرجف بقتله فشاع بين
الناس".⁴²

و لعلنا نلاحظ أن البيضاوي يردد هنا نفس الجدل اللغوي الذي أثاره الزمخشري⁴³ ، و الذي يتفق أساساً مع
الاعتراض اللغوي الذي أشار إليه فخر الدين الرازي.
و يمضي الزمخشري في عرض حجته قائلاً :

" الفعل شبه مسند إلى ماذا ؟ إن جعلته مسنداً إلى المسيح فالمسيح مشبه به و ليس بمشبه⁴⁴ ، و إن أسندته إلى
المقتول فالمقتول لم يجر له ذكر ، قلت هو مسند الجار و المجرور و هو (لهم) كقولك : حُيِّل إليه ، كأنه قيل
: و لكن وقع لهم التشبيه ، و يجوز أن يسند إلى ضمير المقتول ، لأن قوله تعالى : (إنا قتلنا ...) يدل
عليه ، كأنه قيل : و لكن شبه لهم مَن قتلوه ."

و على هذا فإن ملاحظات البيضاوي اللغوية التي ذكرناها سلفاً ما هي إلا خلاصة قول الزمخشري.
إننا عندما نستعرض الإشكال اللغوي و الآخر العقائدي الذين أوردهما البيضاوي حول نظرية البديل ، فإننا
نتساءل من فرط الدهشة عما كان يرمي إليه البيضاوي عندما علق على القصص و الروايات المختلفة لمسألة
إلقاء الشبه قائلاً:

" و أمثال ذلك من الخوارق لا تستبعد في زمن النبوة ".
إننا بالطبع لا نستبعد حدوث مثل هذه الخوارق ، فالله قادر على كل شيء.

⁴⁰ محمود أيوب ، 1980م ، ص 104.

⁴¹ المرجع السابق.

⁴² تفسير البيضاوي

⁴³ محمود أيوب ، 1980 ، ص 101 و لقد اعتمدت هنا على ما أورده محمود أيوب و ذلك لأنه يلخص الجدل اللغوي الذي
أثاره الزمخشري.

⁴⁴ و مع هذا فتجدد بنا الإشارة إلى أن هذا يتماشى مع النظرية القائلة بأن المسيح قد فقد وعيه على الصليب حتى ظن أنه قد
مات ، و كذلك فإن هذا يتفق مع النظرية القائلة بأن المسيح مات فعلاً على الصليب حتى ظن أنه مات بسبب الصلب ،
و لكن في واقع الأمر فإن الله هو الذي توفاه وفاة طبيعية . و يمكننا في هذا الصدد أن نشير إلى الآية (17) من سورة
الأنفال : (فلم تقتلوهم و لكن الله قتلهم و ما رميت إذ رميت و لكن الله رمى ...)

* هذا هو نص كلام الزمخشري في تفسيره المسمى بالكشاف - المترجم

هناك قصص توحى بأن الله قد مسخ اليهود قرده و خنازير [لسببهم المسيح و أمه] ، و أنه ألقى شبه المسيح على سبعة عشر تلميذاً حتى أصبحوا " صورة طبق الأصل منه " ، بينما طار المسيح عبر مشكاة كانت في السقف ، و لكن ربما يتساءل البيضاوي عما إذا كان من المقبول أن يفعل الله تعالى أشياء كهذه ، نظراً لما يقصه القرآن في غير موضع عن ذات الله و صفاته.

و لم يتردد من قام بتحقيق تفسير الطبري في أن يقرّ بأن بعض هذه الروايات و القصص ما هي إلا أساطير.⁴⁵

5- سيد قطب

ربما كان تفسير سيد قطب [المسمى بالظلال*] هو أشهر تفاسير أهل السنة التي وضعت في القرن العشرين. و لقد كان لهذا التفسير بالغ الأثر (في حياة المسلمين) بالرغم من أن المؤلف لم يتلقَ تعليماً أزهرياً في علوم التوحيد و العقيدة.

كان سيد قطب أحد قادة الإخوان المسلمين البارزين حتى إعدامه على يد الحكومة المصرية عام 1966 م ، و قد أبدى اهتماماً واضحاً بتفنيد أخطاء المسيحية أكثر من اهتمامه بالبحث عن الأسس العقائدية المشتركة بين المسيحية و الإسلام⁴⁶ ، و قد عارض بشدة بالغة قول المسيحيين بألوهية المسيح.

و على أية حال فإن سيد قطب لم يخض في مسألة صلب المسيح [عند تفسيره للقرآن] ، و هذا لا يعني بالضرورة أنه كان سيولي أية أهمية فادية لمسألة وفاة المسيح و قيامته و إن ثبت حدوثهما فعلاً ، و إن كان يصير بشدة على أن الباب مفتوح للشك في هذه المسألة، إذ أننا لا نعرف متى أو كيف مات المسيح أو قام من الموت على وجه التحديد.

و نرى أن ما ذهب إليه سيد قطب ما هو إلا تكرار لما أورده رشيد رضا في تفسيره العصري المسمى بالمنار ، و الذي ضمّنه جدلاً مطولاً فنّد من خلاله العقيدة المسيحية القائل بأن موت المسيح و قيامته كانا من أجل التكفير عن خطايا و آثام العالم عن طريق الجمع بين كل من العدالة و الرحمة الإلهية. و قد أبدى رشيد رضا صراحة أن خلافه مع المسيحيين لا يدور حول مسألة الصلب من الناحية التاريخية ، و لكن بسبب الأهمية العقائدية – المبالغ فيها – التي يوليها المسيحيون لهذه المسألة.

يقول محمد رشيد رضا :

" إن مسألة الصلب ليست في ذاتها بالأمر الذي يهتم بإثباته أو نفيه في كتاب الله عز و جل بأكثر من إثبات قتل اليهود للنبيين بغير حق و تقرّيعهم على ذلك، لولا أن النصارى جعلوها أساس العقائد و أصل الدين..⁴⁷

⁴⁵ صلاح عبد الفتاح الخالدي – ترجمة أبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، تفسير الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن (دمشق : دار القلم 1997 م) المجلد الأول ص 12 .

* هذا هو الاسم الذي يشتهر به ، و اسم هذا التفسير كاملاً : في ظلال القرآن - المترجم ⁴⁶ و قد قمت بمشاهدة بعض شرائط فيديو لعدد من محاضراته التي كان يخصصها لتفنيد " انحرافات " اليهود و النصارى و التي عدّها سيد قطب تهديداً لوحدة و تكامل الإسلام.

⁴⁷ السيد محمد رشيد رضا : تفسير المنار (القاهرة : دار المنار 1367 هـ) الطبعة الثانية ، المجلد السادس ص 18 ، و قد أورده محمود أيوب في كتابه ص 114 (1980 م).

و لم يشأ سيد قطب أن يدلي بدلوه في الإجابة عن الأسئلة التاريخية المتعلقة بوقت أو كيفية موت المسيح و رفعه ، فيقول في تفسيره للآية (55) من سورة آل عمران :

" فأما كيف كانت وفاته ، و كيف كان رفعه ... فهي أمور غيبية تدخل في المتشابهات التي لا يعلم تأويلها إلا الله ، و لا طائل من وراء البحث فيها لا في عقيدة و لا في شريعة ، و الذين يجرون وراءها و يجعلونها مادة للجدل ينتهي بهم الحال إلى المراء ، و إلى التخليط ، و إلى التعقيد دونما جزم بحقيقة ، و دونما راحة بال في أمر موكل إلى علم الله "48.

أما بالنسبة للآية (157) من سورة النساء فيقول في تفسيرها :

" إن قضية قتل عيسى عليه السلام و صلبه قضية يخبط فيها اليهود بالظنون كما يخبط فيها النصارى ، فاليهود يقولون : إنهم قتلوه ... و النصارى يقولون : إنه دفن ، و صلب ، و لكن قام بعد ثلاثة أيام ، و "التاريخ"49 يسكت عند مولد المسيح و نهايته كأن لم تكن له في حساب!"50

و يجزم سيد قطب بأنه ليس بالإمكان أن نتأكد من صحة هذه الأمور.

و يتسنى لي أن أشير هنا إلى أن اليهود يؤكدون الآن على أنهم لم يقوموا بصلب المسيح ، و ليس هذا بسبب إنكارهم لحدوث الصلب ، و إنما لأنهم يحتجون - و المسيحيون يوافقونهم الرأي - بأن الرومان (و ليس اليهود) هم الذين قاموا بصلب المسيح عليه السلام51.

و يعلق سيد قطب على الروايات التي وردت في العهد الجديد مستخدماً بعض المصطلحات المثيرة مثل : يروى ، رواية ، خبر ، يرجح ... إلخ و هي نفس المصطلحات التي يستخدمها المفسرون (أنظر تفسير الطبري على سبيل المثال) عندما يشيرون إلى الأحاديث النبوية و إلى ما ورد عن الصحابة و تابعيهم في الأثر.

و يبدو من هذا أن سيد قطب كان يتعامل مع العهد الجديد و كأنه يقع في مصاف الأحاديث ، و على ذلك يجب إثبات صحته عن طريق اتصال سلسلة الرواة بدءاً من جيل الحواريين.

و يشكك سيد قطب في أسانيد تلك الروايات التي وردت في العهد الجديد قائلاً :

" هذه الأناجيل الأربعة أختيرت قرب نهاية القرن الثاني للميلاد ، و اعتبرت رسمية ، و اعترُف بها لأسباب ليست كلها فوق مستوى الشبهات"52 .

48 إبراهيم حسن شاذلي سيد قطب : في ظلال القرآن - * طبعة جديدة مشروحة تتضمن إفادات و تنقيحات تركها المؤلف ، و تنشر للمرة الأولى (بيروت : دار المشرق 1973م)

49 علامات التنصيص من وضع سيد قطب .

50 سيد قطب - المرجع السابق

51 على الرغم من وضوح العهد الجديد في الدلالة على أن الرومان هم الذين قاموا بصلب المسيح ، إلا أنه يُعتقد أن كلاً من الدين و الدولة كانا شريكين في هذه الجريمة ، متمثلاً ذلك في شخص رئيسي الكهنة أناس و قيافا و كذلك الحاكم الروماني بيلاطس . و على أية حال فإن الغالبية العظمى من مسيحيي اليوم لا يلقون بتبعة هذه الجريمة على اليهود أو على الإيطاليين بوصفهم جماعات عرقية ، و لكن إذا كان هناك ثمة تبعة فيجب إلّاؤها على الأنظمة الدينية و السياسية للبشر بوجه عام ؛ و دائماً ما يتمثل المسيحيون قول السيد المسيح : " لا أحد ينتزع حياتي مني ، بل أنا أبذلها باختياري ؛ فلي السلطة أن أبذلها ، و لي السلطة أن أستردّها . هذه هي الوصية تلقيتها من أبي " . يوحنا (10 : 18) . و طبقاً لما حكاه العهد الجديد فإن المسيح قد بذل حياته على الصليب باختياره لكي يكفر عن آثام العالم و خطاياهم.

52 المرجع السابق.

و مع ذلك فهو لا ينعى هذه الرواية بأنها مكنوبة .

كما أشار سيد قطب إلى قصة في ذلك الكتاب المسمى ب(إنجيل برنابا)⁵³ و هي مغايرة لما ورد في روايات العهد الجديد ، و مع هذا فهو لا يحاول القول بأن ما ورد في برنابا يُعدّ مصدراً موثقاً في صحته .
وقد أشار سيد قطب إلى النقطة الرئيسية التي كان يسعى لتوضيحها عند ختامه للحديث عن هذا الموضوع قائلاً: " و هكذا لا يستطيع الباحث أن يجد خبراً يقيناً عن تلك الواقعة ، و لا يجد المختلفون فيها سنداً يرجح رواية على رواية"⁵⁴.

ثم مضى سيد قطب في تفسير الآية (158) من سورة النساء كما يلي :

(بل رفعه الله إليه ...) و لا يدلي القرآن بتفصيل في هذا الرفع أكان بالجسد و الروح في حالة الحياة ؟ أم كان بالروح بعد الوفاة ؟ و متى كانت هذه الوفاة ؟ و أين كانت ؟ و هم ما قتلوه و ما صلبوه و إنما وقع القتل و الصلب على من شبّه لهم سواه .

و لا يدلي القرآن بتفصيل آخر وراء تلك الحقيقة إلا ما أورده في السور الأخرى مثل قوله تعالى : (يا عيسى إني متوفيك و رافعك إليّ ...) و هذه كذلك لا تعطي تفصيلاً عن الوفاة و لا عن طبيعة هذا التوفي و مواعده ... و نحن على طريقنا " في ظلال القرآن "⁵⁵ لا نريد أن نخرج عن تلك الظلال ، و لا نضرب في أقاويل و أساطير ليس لدينا من دليل عليها ، و ليس لنا إليها من سبيل⁵⁶.

كذلك لم يشأ قطب الخوض [في مسألة الصلب] عند تفسيره للآية (117) من سورة المائدة و إن كان قد أبدى صراحة ميله للاعتقاد بأن عيسى قد مات بالفعل ثم قام من الأموات ؛ يقول سيد قطب :
" و ظاهر النصوص القرآنية يفيد بأن الله سبحانه و تعالى قد توفي عيسى بن مريم ، ثم رفعه إليه ، و بعض الآثار تفيد أنه حيّ عند الله ، و ليس هناك في ما أرى أي تعارض يثير أي استشكل بين أن يكون الله قد توفاه من حياة الأرض ، و أن يكون حياً عنده ، فالشهداء كذلك يموتون في الأرض و هم أحياء عند الله ، أما صورة حياتهم فنحن لا ندري لها كيفاً ، و كذلك صورة حياة عيسى عليه السلام.⁵⁷

و كأن سيد قطب يلمح إلى ما ورد في سورة البقرة عن الشهداء :

(وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أحيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ) (آية 154) ، و كذلك سورة آل عمران : (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَزَقُونَ) (آية 169).

⁵³ و قد علق محمود أبوب في مقال له نشر عام 1980م قائلاً : و أغلب الاعتقاد أن هذا الإنجيل قد خطه أحد المسيحيين الذين اعتنقوا الإسلام في القرن الرابع عشر الميلادي باللغة اللاتينية ، و ضمنه مقتطفات من كتاب دانتيه Dante (الكوميديا الإلهية) "Divine Comedy" و على أي حال فإن نقد الدليل على هذا القول يقع خارج نطاق هذا البحث .

⁵⁴ سيد قطب - في ظلال القرآن .

⁵⁵ هذا هو عنوان تفسير سيد قطب .

⁵⁶ المرجع السابق .

⁵⁷ المرجع السابق - قام سيد قطب بكتابة هذه الكلمات عن الشهداء أثناء مدة سجنه و التي انتهت بإعدامه عام 1966م .

ثم يقول سيد قطب في تأويله للآية (33) من سورة مريم :
" والنص صريح هنا في موت عيسى وبعثته ، و هو لا يحتمل تأويلاً في هذه الحقيقة و لا جدالاً ."

الخاتمة

هل مات السيد المسيح على الصليب ثم قام من الأموات ؟
إن العرض و التحليل السابقين ليظهران بوضوح ما وصلت إليه الإجابة على هذا السؤال من التنوع و الثراء، و أن تلك الإجابات لتحظى من الناحية التاريخية بتأييد علماء الأمة الإسلامية.
و لم تكن هناك على مر القرون إجابة إسلامية تعتبر أنها وحدها الإجابة "الصحيحة" على مسألة صلب المسيح. و كما لاحظنا من تلك التأمّلات الشاملة و المتأنيّة التي قام بها المفسرون ، فإن هذا السؤال يبلغ درجة كبيرة من الصعوبة بحيث لا يمكن الإجابة عليه فقط " بنعم أو بلا ".
و نظراً لوفرة الإجابات التي قدمها المسلمون على هذا السؤال على مر العصور ، فإنني موقن من أن هناك الآن فرصة للعثور على أساس مشترك مع المسيحيين (حول هذا الموضوع) أكبر مما يظن المسلمون و المسيحيون اليوم.

و إليك قائمة (بوجوه) التفسير التي استقيناهما مما كتبه أكبر المفسرين :

- 1- نظرية البديل ،
- 2- وفاة النوم (بما في ذلك فقدان الوعي على الصليب)،
- 3- الوفاة بمعنى القبض (مع اختلاف التفاسير حول ما قبضه الله و متى تم القبض)،
- 4- التقديم و التأخير (أي ترتيب حدوث الموت ثم الرفع)،
- 5- إنهاء اجل المسيح المسمّى ،
- 6- رفع المسيح بالروح و الجسد ،
- 7- عدم التيقن من كيفية و وقت حدوث موت المسيح و رفعه ،
- 8- التأويل الصوفي بموت الشهوات النفسية و الجسدية ،
- 9- موت المسيح موتاً حقيقياً كالشهداء ، و هو الآن حي عند ربه ،
- 10- موت المسيح موتاً حقيقياً و قيامته.

وبالطبع فإن كلاً من هذه الوجوه ليس مستقلاً بذاته ، فنجد على سبيل المثال أن الوجه الأول ربما يشتمل على الوجه الثالث و الخامس و السادس ، إذ أنها جميعاً تورد نفس الفكرة و لكن بطرق شتى.

و لكن ما ثمرة هذا بالنسبة للحوار بين المسلمين و المسيحيين ؟

بالنسبة للوجه العاشر فسنبادر بالقول بأن له أساساً مشتركاً مع ما يؤمن به المسيحيون ، و كذلك فإن كلاً من الوجه الثالث و الخامس و السادس و التاسع يمكن فهمه بطريقة توحى بوجود أساس مشترك ، و هذا بمثابة نقطة بدءٍ للحوار بين المسلمين و المسيحيين حول ذلك السؤال.

و مما يثير اهتمامنا الخاص هو مناقشة الرازي المترددة للفكرة القائلة بأنه كانت للمسيح طبيعة بشرية (بدنية) و هي التي ماتت على الصليب ، و أخرى روحية (سماوية) و هي التي ذاقت ألم الموت بسبب اتحادها مع الطبيعة الأولى.

إنني أتفق تماماً مع محمود أيوب في قوله بأن جهود الرازي البناء بمثابة نقطة بدءٍ رائعة للحوار و المناقشة بين المسلمين و المسيحيين.⁵⁸

و على أية حال ، فإن من الواضح أن هناك فرصة كبيرة للتقريب عن الأسس المشتركة بين الوجوه الكثيرة و التفاسير المتعددة التي أثبتتها المفسرون المسلمون على مر العصور .
إن هذا التراث التفسيري الزاخر ليدعونا جميعاً إلى أن نعكف على التقريب عن تلك الأسس .

⁵⁸ محمود أيوب 1980 – ص (105)

ثبت المراجع

أولاً : المراجع العربية

- 1- تفسير الفخر الرازي - المشتهر بالتفسير الكبير و مفاتيح الغيب - لمحمد فخر الدين ضياء الدين عمر الرازي ، تحقيق : خليل محي الدين المايس ، بيروت : دار الفكر 1990م.
- 2- تفسير القرطبي : الجامع لأحكام القرآن - لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، تحقيق : محمد إبراهيم الحفناوي ، القاهرة : دار الحديث 1994م.
- 3- في ظلال القرآن : طبعة جديدة مشروحة تتضمن إضافات و تنقيحات تركها المؤلف ، و تنشر للمرة الأولى - لإبراهيم حسين الشاذلي سيد قطب - (بيروت : دار المشرق 1973م).
- 4- تفسير البيضاوي المسمى : أنوار التنزيل و أسرار التأويل - لناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي - بيروت : دار الكتب العلمية 1998م.
- 5- تفسير الطبري : جامع البيان عن تأويل آي القرآن - لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، تحقيق : صلاح عبد الفتاح الخالدي ، دمشق : دار القلم 1997م.
- 6- تفسير مقاتل بن سليمان - لمقاتل بن سليمان ، تحقيق : عبد الله محمود شحاته ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب 1979م.
- 7- الصليب في الإنجيل و القرآن - لإسكندر جديد ، بيروت : مركز الشبيبة.

ثانياً : المراجع الأجنبية

Anawati, G.C. "Fakhr al-Dīn al-Rāzī," in *The Encyclopaedia of Islam*, 2nd edition. Leiden, E.J. Brill, 1960- .

Arnaldez, Roger. *Jésus : Fils de Marie, prophète de l'Islam*. Paris : Desclée, 1980.

_____ "Al-Ḳurṭubī, Abū 'Abd Allāh," in *The Encyclopaedia of Islam*, 2nd edition. Leiden, E.J. Brill, 1960- .

Ayoub, Mahmoud. "Towards an Islamic Christology: An Image of Jesus in Early Shī'ī Muslim Literature," in *The Muslim World*, vol. LXVI, No. 3. Hartford: The Hartford Seminary Foundation, July, 1976.

_____ "Towards an Islamic Christology, II: The Death of Jesus, Reality or Delusion (A Study of the Death of Jesus in Tafsīr Literature)," in *The Muslim World*, vol. LXX, No. 2. Hartford: The Hartford Seminary Foundation, April, 1980.

Charfi, Abdelmajid. "Christianity in the Qur'ān Commentary of Ṭabarī," in *Islamochristiana*, vol. 6, pp. 105-148. Rome: PISAI, 1980.

Cragg, Kenneth. *The Call of the Minaret* (second edition, revised and enlarged). Ibadan: Daystar Press, 1985.

_____ *Jesus and the Muslim: An Exploration*. London: George Allen & Unwin, 1985.

Henninger, Josef. *Spuren christlicher Glaubenswahrheiten im Koran*. Schöneck, Switzerland: Administration der Neuen Zeitschrift für Missionswissenschaft, 1951.

Jansen, J.J.G. "Sayyid Ḳuṭb," in *The Encyclopaedia of Islam*, 2nd edition. Leiden, E.J. Brill, 1960- .

McAuliffe, Jane Dammen. *Qur'ānic Christians: An Analysis of Classical and Modern Exegesis*. Cambridge: Cambridge University Press, 1991.

Newby, Gordon Darnell (ed.). *The Making of the Last Prophet : A Reconstruction of the Earliest Biography of Muhammad*. Columbia, SC: University of South Carolina Press, 1989.

Paret, Rudi. *Der Koran: Kommentar und Konkordanz*. W. Kohlhammer Verlag, 1977 (4. Auflage – 1989).

_____ *Der Koran: Übersetzung*. Stuttgart: W. Kohlhammer Verlag, 1979 (7. Auflage – 1996).

Räisänen Heikki, "The Portrait of Jesus in the Qur'ān: Reflections of a Biblical Scholar," in *The Muslim World*, vol. LXX, No. 2. Hartford: The Hartford Seminary Foundation, April, 1980.

Robson, J. "Al-Bayḍāwī, 'Abd Allāh," in *The Encyclopaedia of Islam*, 2nd edition. Leiden, E.J. Brill, 1960- .

Robinson, Neal. *Christ in Islam and Christianity*. Albany: State University of New York Press, 1991.

Wehr, Hans. *A Dictionary of Modern Written Arabic*. J. Milton Cowan (ed. & transl.), third edition. Ithaca: Spoken Language Services, 1976.

Zahniser, A.H. Mathias, "The Forms of Tawaffā in the Qur'ān: A Contribution to Muslim-Christian Dialogue," in *The Muslim World*, Vol. LXXIX, No. 1. Hartford: The Hartford Seminary Foundation, January, 1989.